سلسلة تفريغات شبكة بينونة

قل آمنت بالله ثم استقم

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي
حفظه الله

قام بها فريق التفريغ في
شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoonanet

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية
أن تقدم لكم تفريغا لمحاضرة بعنوان

" قل آمنت بالله ثم استقم"

ألقاها الشيخ

إبراهيم بن عبد الله المزروعي

-حفظه الله تعالى-

نسأل الله –سبحانه وتعالى- أن ينفع به الجميع

قام بها فريق التفريغ

بشبكة بينونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

في ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من محرم عام تسعة وثلاثين بعد الأربعمائة وألف، حديث أبي عمرة سفيان بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: « قلتُ: يا رسولَ اللهِ، قُلْ لي في الإسلامِ قولًا لا أسأَلُ عنه أحَدًا بعدَك قال: قُلْ آمنْتُ باللهِ فاستَقِمْ »، « قُلْ آمنْتُ باللهِ فاستَقِمْ »[1] رواه مسلم في صحيحه.

فأمْرُهُ –صلى الله عليه وسلم– هنا لهذا الصحابي ولهذه الأمة، إذا أردت النجاة في الدنيا وفي الآخرة فعليك بالإيمان بالله عز وجل، ثم الاستقامة، فنتكلم عن الاستقامة على دين الله عز وجل.

الاستقامةُ معناها أن يسلك المسلم الطريق المستقيم في عقيدتهِ، واتباعهِ، وعبادته، ومعاملاته، وأخلاقه، وفي جميع شؤونه فيما يتعلق بأمر الشرع، هذه هي الاستقامة على الدين، يسلك المسلم الطريق المستقيم يستقيم في عقيدته، فعقيدته توافق عقيدة أهل السُنة والجماعة، ويستقيم في اتباعه لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– فلا يعمل عملًا يتقرب بهِ إلى الله إلا إذا كان عليه أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، وأن يستقيم أيضًا في معاملاته، وفي أخلاقه، وفي جميع شؤونه، هذه هي الاستقامة على الدين، هذا الطريق الصراط المستقيم الذي يستقيم عليه المسلم الذي يريد النجاة، هو المنهج الذي كان عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته والتابعون لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، هذا هو

[1] صحيح مسلم (38).

طريق الاستقامة، لا يوجد طريقٌ غيره، طريق الاستقامة هو المنهج، الطريق الذي سار عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته.

هذا الطريق أيضًا الذي ارتضاه الله عز وجل لهذه الأمة لتسير عليه وتسلكه؛ لتنجو من النار، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:115].

فالذي يكون في شق والنبي –صلى الله عليه وسلم– في شقٍ آخر، هذا الشخص بعد أن يتبين له الحق والهدى، ولكن لا يتبع، بل يتبع غير سبيل المؤمنين، يخالف سبيل وطريق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته، ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ [النساء:115] نتركه إلى ما اختاره من الظلام، ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ [النساء:115] وندخله جهنم، ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:115]

فطريق النبي –صلى الله عليه وسلم– هو سبيل المؤمنين وهو طريق الاستقامة، فمن لم يسلك هذا الطريق فقد انحرف عن الاستقامة؛ لأنه فارق الرسول –صلى الله عليه وسلم– صار في شقٍ ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– في شقٍ آخر.

هذا معنى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ [النساء:115] لذلك يقول حذيفة –رضي الله عنه– اتقوا الله معشر القرّاء، ينصح العلماء والصالحين ينصحهم يقول: (اتَّقُوا اللَّهَ مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، وَخُذُوا طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَئِنِ اسْتَقَمْتُمْ لَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا).

إذا استقمتم على هذا الطريق، طريق من كان قبلكم، طريق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته، (لَئِنِ اسْتَقَمْتُمْ لَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَئِنْ تَرَكْتُمُوهُ شِمَالا وَيَمِينًا ضَلَلْتُمْ ضَلالا بَعِيدًا)، (ضَلَلْتُمْ ضَلالًا بَعِيدًا أو قال مبينا) هذا الأثر عن حذيفة –رضي الله عنه– رواه البخاري في صحيحه بلفظٍ مقارب في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنة.

فطريق الاستقامة على الدين الذي أمرنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– به بسلوكه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:112] هذا الطريق هو منهج رسول الله –صلى الله

عليه وسلم- وصحابته ومن سار على هذا الطريق إلى يوم الدين، هذا المنهج هو طريق الاستقامة الذي فيه النجاة في الدنيا وفي الآخرة، وهو منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة وأصحاب الحديث أهل السُنة والجماعة.

كان قتادة –رضي الله عنه- إذا تلا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت:30] قال: (إنكم قد قلتم ربنا الله فاستقيموا على أمر الله، وطاعته، وسُنة نبيكم، وامضوا حيث تؤمرون، فالاستقامة أن تلبث على الإسلام، والطريقة الصالحة، ثم لا تمرق منها، ولا تخالفها، ولا تشذّ عن السُنة، ولا تخرج عنها)، هذا كلام قتادة –رحمه الله- من كبار التابعين.

يقول هذا القول وذكره بسنده الإمام الآجري في كتابه الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية في المجلد الأول.

إذًا من أراد الاستقامة فليستقم على منهج رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، هذا الطريق طريق الاستقامة يحتاجُ من يسلك هذا الطريق إلى علم، وبصيرة، وفقه، وعمل، ودعوة، وصبر، وثبات، لابد من ذلك من أراد طريق الاستقامة لابد له من علم، وبصيرة، وفقه، وعمل بهذا العلم، ودعوة دعوة الناس لهذا العلم، وصبر على تعليم الناس ودعوتهم، وثبات على هذه الاستقامة.

قال ابن القيم رحمه الله-: (**السائر إلى الله والدار الآخرة، لا يتم سيرهُ ولا يصل إلى مقصودة إلا بقوتين: قوةٍ علمية، وقوة عملية**).

السائر إلى الله وعلى الصراط المستقيم لا يتم سيره لا يصل إلى مقصوده إلّا بقوتين: قوة علمية وقوة عملية.

قال: فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق، ومواضع السلوك فيقصدها سائرًا فيها، يجتنب أسباب الهلاك، ومواضع العطب، وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل.

فقوته العلمية نورٌ عظيمٌ بيده يمشي في ليلةٍ عظيمةٍ مظلمة، فهو يبصر بذلك النور أعلام الطريق فلا يضّل عنها.

وبالقوة العملية العمل بهذا العلم يسير حقيقةً، فإن السير هو عمل المسافر، هو أن يضع عصاه على عاتقه ويشمّر مسافرًا في الطريق، قاطعاً منازلها منزلةً بعد منزلة، في كتابه طريق الهجرتين صفحة 284.

يبيّن لنا الإمام ابن القيم –رحمه الله– ما هو الشرط؟ ما هو الذي يعين بعد الله عز وجل على السير في طريق الاستقامة؟ لابد من علم وعمل.

علم وفقه وبصيرة، ثم عمل بهذا العلم وتعليمه للناس ودعوتهم لهذا العلم، وهدايتهم إلى طريق الصراط المستقيم، والصبر على ذلك، فمن أراد السير على طريق الاستقامة الذي هو منهج رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وأراد الثبات عليه فعليه بالعلم الشرعي، فعليه بالعلم الشرعي والعمل بهذا العلم والدعوة إليه.

ولما جهل المنحرفون عن طريق الاستقامة، كل من انحرف عن طريق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته من أهل الفرق الضالة جهلوا العلم بهذا الطريق، وقعوا في التناقض والقول بالظن، والحكم بالهوى، توهموا الحق باطلًا والباطل حقًا فعصفت بهم رياح البدع، وجرفتهم أمواج التفرّق والاختلاف عن طريق الاستقامة.

قال ابن القيم –رحمه الله–: (**إنّ الاختلاف سببهُ اشتباه الحق وخفائه، وهذا لعدم العلم، لعدم العلم الذي يميز بين الحق والباطل، فلابد من العلم؛ لأن العلم نور**).

قال الشاطبي –رحمه الله–: (**إن أصل حدود الفرق هو الجهل، الجهل بمواقع السُنّة، جهلوا سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– وطريقته ومنهجه وفهم صحابته –رضي الله عنهم–، ففرقوا الأمة فحصل التفرق والاختلاف في هذه الأمة**) قول الشاطبي في كتابه الاعتصام، في المجلد الثاني.

لذا كان العلم بمنهج السلف وفهمه فهمًا سليمًا، والعمل به سببًا قويًا لمعرفة طريق الاستقامة، فمن أراد أن يعرف طريق الاستقامة ويثبت عليه يتعلم هذا المنهج الذي كان عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

المنهج يعني الطريق لفهم الإسلام، لفهم كتاب الله وسُنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– هذا هو المنهج الذي كان عليه سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين، ومن سار على طريقهم لابد من فهم هذا المنهج، ومعرفة هذا المنهج، والعمل به هذا هو طريق الاستقامة طريق النجاة.

فالواجب على المسلم أن يستقيم كما أُمر، كما أُمر، كما أَمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «قُلْ: آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»، استقم أَمَرَهُ بالاستقامة، وأَمَر هذه الأمة بالاستقامة، فالواجب الاستقامة على ما أمر به الله عز وجل ورسوله –صلى الله عليه وسلم، يحذر المسلم من العدول والانحراف عن طريق الاستقامة، فيندم يوم لا ينفع الندم يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:27]

هناك أسباب لانحراف الناس عن الاستقامة لابد من بيانها؛ حتى نحذر هذه الأسباب إن وجدت فينا.

أسباب انحراف الناس عن الاستقامة على دين الله:

منها إتباع الهوى، إتباع الهوى وهو ميل النفس أو الطبع إلى الشيء، يطيع نفسه وطبعه بمخالفة أمر الله عز وجل هذا هو إتباع الهوى، ميل النفس أو الطبع إلى الشيء وعدم الاستجابة لأمر الله ورسوله، وعدم التسليم لهما، هذا هو اتباع الهوى.

إذا أرادت نفسه الأمارة بالسوء أمرًا، وهذا الأمر يخالف أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمر الله ورسوله فهذا هو إتباع الهوى فهو متبعٌ لهواه، لم يتبع شرع الله عز وجل.

قال الشاطبي –رحمه الله–: (**سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأْخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، بل قدّموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم**) هذا كلامه أيضًا في كتاب "**الاعتصام**".

ويقول الإمام الشافعي –رحمه الله–: (**لأَنْ يَلْقَى اللَّهَ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلا الشِّرْكَ بِاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الأَهْوَاءِ، من هذه البدع**).

(لأَنْ يَلْقَى اللَّهَ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلا الشِّرْكَ بِاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الأَهْوَاءِ) كلام إمام كلامٌ عظيم ذكره البيهقي في سُننه بسندٍ صحيح إلى الإمام الشافعي –رحمه الله– في المجلد العاشر من سُنن البيهقي، هذا هو السبب الأول إتباع الهوى.

كذلك أيضًا من أسباب انحراف بعض الناس عن الاستقامة، تحكيم العقل والرأي في نصوص الوحي، يُحكّمْ عقله ويعارض نصوص الشرع، يعارض كلام الله عز وجل، وكلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الثابت عنه بعقله وبرأيه، هذا سببٌ للانحراف عن طريق الاستقامة.

المعلوم عند كل عاقلٍ كل ما في الشريعة كل ما جاء في الكتاب والسُنة هو موافق للعقل لا يتعارض مع العقل، الشرع حاكمٌ على العقل إذا حصل عَطَلٌ، أو شبهةٌ في هذا العقل حصل الانحراف، حصلت المعارضة لنصوص الوحي.

أمّا العقل السليم فلا يتعارض مع شرع الله عز وجل، لا يتعارض مع كلام الله عز وجل، وكلام رسوله –صلى الله عليه وسلم– لا يمكن أبَدا أن يتعارض نصٌ صحيح صريح وعقلٌ سليم.

فالذين يعارضون نصوص الوحي بعقولهم، عقولهم فاسدة، عقولهم مريضة ليست سليمة، أما العقل السليم فلا يعارض ولا يتعارض مع نصٍ صحيحٍ صريح، فلا يجوز معارضة النصوص بالعقول والآراء.

فمن عارض النصوص بعقله أو برأيه فهذا قد انحرف عن طريق الاستقامة، فليحذر المسلم من تحكيم عقله ورأيه في نصوص الوحي.

قال ابن القيم –رحمه الله–: (**إذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصريح، أخذ بالآية وبالحديث ورمي بهذه العقول تحت الأقدام وحطت حيث حطها الله وحط أصحابها**).

(إذا تعارض النقل وهذه العقول عند أصحاب هؤلاء العقول أُخذ بالنقل الصريح لا تؤخذ بأقوال هؤلاء مادام جاء النص، جاء النقلُ، جاءت الآية وجاء الحديث الصحيح، فلا تقبل العقول التي تعارض هذه النصوص) ذكر كلامه في كتابه "**الصواعق المرسلة**".

كذلك الآراء الباطلة التي تخالف الكتاب والسُنة، تحكيمها من أسباب الانحراف عن الصراط المستقيم، نذكر هذه الأسباب حتى نحذرها، فمن أراد سلوك الطريق المستقيم يحذر من هذه الأسباب، ويعالج إن وجدت فيه، فالآراء الباطلة التي تخالف الكتاب والسُنة تحكيم هذه الآراء من أسباب الانحراف عن الاستقامة.

قال ابن القيم –رحمه الله–: (**ما هلكت أُمّةٌ من الأمم إلا بتقديم آراءها على الوحي**)، (**ما هلكت أُمّةٌ من الأمم إلا بتقديم آراءها على الوحي، ولا تفرقت الأمة فرقًا وكانوا شيعًا إلا بتقديم آرائهم على النصوص**).

السبب الثالث: من أسباب الانحراف عن الاستقامة مقارفة البدع، البدع محرمةٌ في الدين، كل ما يتقرب به العبد كل ما يتقرب به العبد إلى الله وليس عليه دليل شرعي فهو مردودٌ على صاحبه، فهو بدعةٌ كما أخبر عن ذلك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حينما قال: « من عملَ عملا ليسَ عليهِ أمرُنا فهو ردٌّ »[1].

فكل بدعةٍ مردودة كما أخبر أيضًا عن، كما أخبر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أيضًا عن البدعة عندما قال: «إيَّاكم ومُحدَثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»[2] ، «فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ».

فمقارفة البدع من أسباب الانحراف عن طريق الاستقامة، الانحراف عن منهج رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، كأنّ فيها استدراك، من يبتدع في دين الله كأنّه يستدرك على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

---

[1] صحيح مسلم (1718).

[2] تخريج كتاب السنة (31).

ورسول الله –صلى الله عليه وسلم- أدّى الأمانة كاملة، وبلّغ الدين كاملًا فلا يحتاج ديننا إلى زيادة في العبادات، إلى مبتدعات، إلى محدثات، الدين أتمّهُ الله عز وجل لهذه الأمة.

قال ابن تيمية –رحمه الله-: (إن البدعة الشرعية التي هي ضلالة هي ما فعل بغير دليلٍ شرعي كاستحبابِ ما لم يحبه الله، وإيجاب ما لم يوجبه الله، وتحريم ما لم يحرمه الله فلابد مع الفعل من اعتقادٍ يخالف الشريعة، حتى تكون بدعة يفعلها الإنسان ويتقرب إلى الله عز وجل، يريد زيادة التقرب إلى الله عز وجل، لكن ما عنده دليل في الشرع فهذه بدعة) ذكر ذلك في كتاب منهاج السُنة النبوية في المجلد الثامن.

البدعة نوعان:

نوع في الاعتقاد يكون اعتقاد هذا الإنسان خلاف الحق الذي بُعِثَ به رسول الله –صلى الله عليه وسلم- خلاف منهج رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وصحابته، خلاف عقيدة أهل السُنة والجماعة، هذا ابتداع إذا خالف ما جاء عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم-.

النوع الثاني من البدع يكون في العبادة، التعبد بما لم يأذن به الله من الأوضاع المحدثة في الدين، يأتي بعبادة ليس عليها دليل شرعي فهذا يسمى ابتداع، مقارفة البدع إذًا هي السبب الثالث من أسباب الانحراف عن الاستقامة.

البدعة من أعظم أسباب التفرق والاختلاف الذي وقع في هذه الأمة، ومن أعظم أسباب الانحراف عن الاستقامة؛ لذلك قال ابن عباسٍ –رضي الله عنهما-: «عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع»[1] «عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع»، اتبع رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فيما أمر، ولا تبتدع، ذكره الدارمي في سُننه بإسنادٍ صحيح، في أول الكتاب.

---

[1] سنن الدارمي (141).

وقال الإمام الآجري –رحمه الله–: (**رحم الله عبدًا حَذِرَ هذه الفرق، وجانب البدع، واتبع ولم يبتدع، ولزم الأثر الحديث وطلب الطريق المستقيم، واستعان بمولاه الكريم**).

نصيحة: (رحم الله عبدًا حذر هذه الفرق، ابتعد عن كل الفرق الضالة بأنواعها، جانب البدع ابتعد عن كل البدع بأنواعها، اتبع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في جميع شؤونه، ولم يبتدع في دين الله، لزم الأثر تمسك بالسُنة وطلب الطريق المستقيم، نشد الطريق المستقيم، عرف الطريق المستقيم وسلكه واستعان بمولاه الكريم، لابد من الاستعانة بالله عز وجل في جميع شؤوننا فإذا أردنا الاستقامة على دين الله نفارق البدع وأهل البدع بأنواعهم ونتّبع السنة ونطلب الطريق المستقيم ونستعين بالله عز وجل على سلوك هذا الطريق المستقيم، والثبات عليه والموت عليه ذكر ذلك الآجري في كتاب "الشريعة" صفحة 25.

السبب الرابع من أسباب ترك الاستقامة: التقليد بغير دليل، التقليدُ بغير دليل ولذا ذمّ الله عز وجل في كتابه أناسًا قلدوا أباءهم، وزعماءهم، وسادتهم دون حُجَّةٍ ودليل، ذمهم الله عز وجل في كثير من الآيات، ولو كان ذلك في مخالفة الحق يطيعون آباءهم وزعماءهم في مخالفة كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– هذا هو التقليد والتعصّب لغير دليل فأقوال الآباء والعلماء وغيرهم، لا تؤخذ على سبيل الإطلاق وإنما تقيد بالشرع، تقيد بالشرع، تقيد بالدليل من الكتاب والسنة.

قال ابن القيم –رحمه الله–: إنما كثر الاختلاف بسبب التقليد وأهله، وهم الذين فرّقوا الدين، وصيروا أهله شِيَعًا كل فرقةٍ تنصر متبوعها وتدعو إليه وتذم من خالفها يقولون: كُتُبُنا وكُتُبُهُم~، أئمتنا وأئمتهم، مذهبنا ومذهبهم، هذا والنبي واحد، والقرآن واحد، والدين واحد، والرب واحد، فالواجب على الجميع: أن لا يطيعوا إلا الرسول –صلى الله عليه وسلم– ولا يجعلوا معه من يكون أقواله كنصوصه، فلو تحاكموا كلهم إلى السُنة وآثار الصحابة لقل الاختلاف، هذا كلام ابن القيم –رحمه الله– في "إعلام الموقعين عن رب العالمين" في المجلد الثاني 226.

إذًا من أسباب ترك الاستقامة التقليد بغير دليل، والتعصب الأعمى للأقوال.

السبب الخامس من أسباب ترك الاستقامة، الانحراف عن طريق الاستقامة التأويل بغير حُجة، الجدال المذموم للمنازعة والمغالبة، هذه عدة أسباب.

التحزب المذموم للجماعة والقبيلة والرجال، فيما يخالف شريعة الإسلام، التَّعَمُّقْ التنطع، التشدد، الغلو، كل هذه من أسباب ترك الاستقامة على الدين، فعلى المسلم أن يحذر من هذه الأسباب، ويتعلم هذه الأسباب، ومظاهر هذه الأسباب، ويعالج يبدأ بالعلاج إن وجدت فإنها عائقٌ أمام العبد في استقامته على هذا الدين.

نصيحة: لمن استقام على الدين، أردت الاستقامة على الدين، على منهج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لا تستوحش بقلة المستقيمين وكثرة الفاسقين فالله عز وجل بيّن أن أكثر الناس ضالون عن الطريق، منحرفون عن الصراط، زائغون عن الاستقامة قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:116] ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:116].

إذًا لا تستوحش يا من أردت الاستقامة والالتزام بهذا الدين، لا تستوحش بقلة المستقيمين على هذا الصراط هذا أمر طبيعي، لا تستوحش بكثرة الفاسقين والكافرين على وجه الأرض، هذا أمر طبيعي الله عز وجل ذكر ذلك في كتابه: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:116].

قال البيضاوي في تفسيره: أي أكثر الناس يريدون الكفار، أو الجهال، أو اتباع الهوى هم هؤلاء أكثر الناس، وقال الله عز وجل أيضًا: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:103] ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ [يوسف:103] يعني يا محمد ولو حرصت فإن أكثر الناس ليسوا مؤمنين ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:103].

فلا تستوحش بقلة المستقيمين، وكثرة الفاسقين هذه نصيحة لمن أراد الاستقامة، الله عز وجل بيّن أن أهل الحق والاستقامة قلةٌ بين الناس، فقال عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:13] ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:13].

وقال عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص:24] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [ص:24].

فلا تستوحش بقلة المستقيمين على هذا الصراط، والنبي –صلى الله عليه وسلم– بيّن ذلك، بيّن أن الذين يسلكون منهجه وطريق الاستقامة عددٌ قليل من هذه الأمة.

فقال –صلى الله عليه وسلم–: «بدأَ الإسلامُ غريبًا، وسيعودُ كما بدأَ غريبًا، فطوبى للغرباءِ»[1]، أناس صالحون فيه أناس سوءٍ كثير، أناس صالحون فيه أناس سوءٍ كثير، كثرة الفاسقين لا توحشك أيها المستقيم استقم كما أمرت، استقم كما أمرت فإنك مسؤول وحدك عن نفسك، مسؤولٌ عن نفسك وتقف بين يدي الله عز وجل وحدك، وسيسألك عن كل عمل، ولما ذكر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– افتراق الأمة قال: «ستفترق أمتي إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»[2].

إذًا قلة، أهل الاستقامة قلة فرقة واحدة من ثلاثٍ وسبعين فرقة حديثٌ صحيح رواه أصحاب السُنن وصححه أهل العلم من أهل الحديث، فإذا كان كذلك فعلى من أراد طريق الاستقامة أن يوطن نفسه.

يعوّد نفسه على قدح الجُهّال، وأهل البدع، والفسق، والاستهزاء، والسخرية، والأذى بأنواعه هذا أمر طبيعي عانى منه الأنبياء والرسل قبلك والصالحون قبلك وأئمة الإسلام كلهم

---

[1] صحيح مسلم (145).

[2] رواه الترمذي (2641) وحسَّنه ابن العربي في " أحكام القرآن " والألباني في " صحيح الترمذي ".

ابتلوا؛ لأنهم على طريق الاستقامة، وطّنْ نفسك على قدح الجُهال وأهل البدع والفسق، اصبر على الاستقامة؛ حتى تلقى الله عز وجل، حتى تلقى الله عز وجل.

أيضًا نتكلم في مسألة أخيرة وهي مهمة جدًا بعد أنْ عرفنا ما سبق فيما يتعلق بمعنى "الاستقامة"، وما هو طريق الاستقامة؟ منهج رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته، وما هي الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف عن الاستقامة؟

الآن نريد أن نتكلم عن أسباب الثبات على الاستقامة

من أراد واقتنع بطريق الاستقامة وأطاع أمر الله عز وجل بالأمر بالاستقامة، وأطاع أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالاستقامة، ونوى الاستقامة، وسلك وبدأ طريق الاستقامة والالتزام على هذا الصراط المستقيم لابد له من الثبات، فلابد من معرفة أسباب الثبات، كيف نثبت على هذه الاستقامة؛ حتى نلقى الله عز وجل؟

أسباب الثبات على الاستقامة عند الفتن التعوّذ منها، وتجنبها، والفرار منها، والصبر بأنواعه عند وقوع الفتن، والمسارعة إلى طاعة الله عز وجل، والتقرب إليه سبحانه وتعالى بجميع أنواع القربات.

إذًا من أسباب الثبات على الاستقامة عند ظهور الفتن "التعوّذ منها"، اللهم إني أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، كما علمنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– اللجوء إلى الله عز وجل، والاستعاذة بالله عز وجل من الفتن التعوّذ منها، فإذا ظهرت الفتن فتعوذ بالله عز وجل أكثر من هذا الدعاء (**اللهم إني أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن**)، هذا من أسباب الثبات على الاستقامة، تجنّب الفتن، وقعت الفتن في أي مكان ابتعد فِر من الفتن كما أمرك شرعنا في أكثر من حديث.

واصبر عند ظهور الفتن، اصبر على طاعة الله عز وجل، واصبر عن معصية الله عز وجل، واصبر على البلاء هذه أنواع الصبر الثلاثة، الصبر على الطاعة، والصبر عن

المعصية، والصبر على البلاء والابتلاء بأنواعه، وسارع وأكثر من التقرب إلى الله عند ظهور الفتن، يعينك الله عز وجل على الثبات على الاستقامة.

ثانيًا: عند الابتلاء بالتكليف وبالنعم والمصائب أُثْبُتْ فإذا أَدّيْتَ، أو أُمِرْتَ بفرضٍ من الفرائض أثبت وافعل هذا الفرض من الفرائض، أدّي الواجب الذي عليك واعرف الواجبات التي عليك، وأدِّها كما أمرك الله عز وجل.

هذا يفيدك على الثبات على الاستقامة، إذا ابتليت بالنعمة بالغنى والمال والجاه فاشكر الله عز وجل، واثبت على الاستقامة، لا تشغلك عن الاستقامة، فإذا أردت الثبات فلا تشغلك هذه النعم عن طاعة الله، وعن طريق الاستقامة.

قال ابن القيم –رحمه الله–: (**إن المكلفين بعد إرسال الرسل إليهم بين أمرين: إما أن يقول أحدهم آمنتُ، وإما أن لا يقول**).

الآن يذكر حال المكلفين، عندما يأتي الأمر من الله عز وجل على لسان رسلهِ، على لسان رسوله –صلى الله عليه وسلم–، إما أن يقول أحدهم آمنت، وإما أن لا يقول، يقول آمنت أو لا يقول آمنت، بل يستمر على السيئات، فمن قال آمنّا امتحنه الرب تعالى وابتلاه لتتحقق بالإيمان حجة إيمانه وثباته عليه، ليعلم الله عز وجل هل هو صادق أم كاذب في إيمانه؟ فيبتليه الله عز وجل، لابد من الابتلاء.

قال ابن القيم: (**وإنه ليس بإيمانه عافيةٌ ورخاء فقط بل إيمانٌ ثابت في حالتي النعماء والبلاء**)، هذا الذي نجح في الاختبار ثبت، إذا جاء الابتلاء بتكليف بالأوامر الشرعية بالبعد عن المحرمات ثبت وعمل بالأوامر، واجتنب النواهي هذا صادق الإيمان، هذا صادق الاستقامة.

فعلى المسلم إذا أبتلي بالتكليف وبالنعم وبالمصائب أن يصبر ويثبت على استقامة هذا يعينه على الثبات على الاستقامة.

فالابتلاء يُظْهِر حقيقة الإيمان لابد منه لمن أراد الاستقامة على دين لابد من الابتلاء، فمن أراد الثبات على الاستقامة فعليه أن يثبت عند التكليف، إذا أطاع أمر الله عز وجل ورسوله –صلى الله عليه وسلم– وأنقاد انقيادًا لهم.

أجتنب ما نهى الله عنه ورسوله –صلى الله عليه وسلم– قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:66]

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ [النساء:66] عَمِلوا بأمر الله عز وجل واجتنبوا ما نهى عنه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:66] سببًا لتثبيتهم على الاستقامة، سببًا لثباتهم على الاستقامة العمل بأمر الله عز وجل.

ولا شكّ أنّ الأوامر فيها ابتلاء، فيها اختبار للإنسان يفعل ولا لا يفعل؟ كثير من الناس لا يأتمرون بأمر الله عز وجل فهؤلاء سقطوا رسبوا في الابتلاء بالتكليف، فمن أراد الثبات على الاستقامة عند الابتلاء بالنعم فعليه بشكر هذه النعم، وبظهور أثر هذه النعم عليه في عمله، وفي أداء حقوق هذه النعم.

من أراد الثبات على الاستقامة عند الابتلاء بالمصائب فعليه بالرضا بقضاء الله عز وجل وقدره، وعليه بالصبر عند الابتلاء، وليتذكّر حُسن الجزاء، يتذكّر حُسن الجزاء فتهون عليه الابتلاءات يعينه ذلك على الصبر، يتذكّر حسن الجزاء، قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97].

تذكّر مثل هذه الآيات التي فيها الجزاء، حسن الجزاء، والجنة، ومغفرة الذنوب من هذا البلاء إذا صبرت عليه من أردت الاستقامة.

ولتتذكر أيضًا حطّ الذنوب، حطّ الذنوب وتكفير السيئات والعواقب المحمودة إذا ثبتّ على الابتلاء وصبرت واحتسبت ورضيت وسلّمْت أمرك لله عز وجل هذا من أهم أسباب الثبات.

أيضًا السبب الثالث: عند دعوة الناس، عند الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجد المستقيم مشقّة، يجد صدودًا وأذىً وسخريةً فإذا أراد الثبات على الاستقامة

والقيام بهذا الواجب الشرعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعليه بالعلم الشرعي، والفقه في الدين، عليه بالتوكل على الله تعالى، طلب المعونة والسداد والثبات والصبر من الله عز وجل عليه بالحكمة في دعوة الناس وأمرهم بالمعروف، عليه بحُسن الخلق، كما أنّ عليه أنْ يعمل بالعمل بالعلم، يعمل بالعلم، عليه الإخلاص لله عز وجل في طلبه للعلم، وفي دعوته للناس، عليه الرفق بالناس، عليه بالتيسير على الناس في حدود الشرع، بالحلم معهم بالتواضع لهم، التأني، مراعاة المصالح والمفاسد عند دعوته الناس، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

إذا فعل ذلك ثبّتَه الله عز وجل على الاستقامة، وأعانهُ عليها سبحانه وتعالى، من أسباب الثبات الحذر من العدول عن الاستقامة، احذر يا من بدأت طريق الاستقامة وطريق الطاعة احذر من الانتكاس عن الطريق، العوائق كثيرة والشيطان عدوٌّ للإنسان يزيّن لك ويلبّسْ عليك ويأتي بالشبهات وهكذا أكثر الناس، فاحذر من الانتكاس، اثبت وألجأ إلى الله عز وجل ليثبتك، وادعوا الله عز وجل ليلًا ونهارًا أن يثبتك، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب والأبصار صرف قلوبنا على طاعتك.

ادعوا بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، احذر من الانتكاس عن طريق الاستقامة وأخطر أسباب الانحراف ذكرناها لكم مجالسة أهل الأهواء والبدع والفسق والمعاصي.

آخر أسباب الثبات على الاستقامة: الاستقامة عند الموت، احرص على أن تستمر على طريق الاستقامة إلى الموت، فادعوا الله عز وجل بالثبات عند الموت، وحب لقاء الله عز وجل المبادرة بالتوبة والإكثار من ذكر الموت وحسن الظن بالله عز وجل، الاستمرار على الأعمال الصالحة وغيرها.

هذه أسباب لابد من الأخذ بها لمن أراد الثبات على طريق الاستقامة، نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المؤمنين المستقيمين كما أمرنا، كما نسأله تعالى أن يثبتنا وإياكم على الاستقامة على الدين؛ حتى الممات، ونسأل عز وجل يحفظكم ويحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

للاستماع إلى المحاضرة يرجى زيارة الرابط

http://www.baynoona.net/ar/audio/6723

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

www.baynoona.net

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة

الإمارات العربية المتحدة